اسم الدرس : جمع القرآن
تصنيف الدرس : محاضرات ومقاطع

❖ مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من العجائب العجب العجاب، وجعله حاليًا بالأحرف السبعة، وكمال الشرعة، وفصل الخطاب، والصلاة والسلام على النبي الأواب مبلغ الكتاب، وعلى الآل والأصحاب صلاة تدوم إلى يوم حساب ويكون لنا بها عند الله زلفى وحسن مآب. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

فلا شك أن نزول القرآن العظيم هو أعظم حدث حصل في تاريخ هذه الأمة، وقد كان نزول القرآن على قلب النبي عليه الصلاة والسلام هو إيذان بنبوته صلوات الله وسلامه عليه، وببعثته إلى العالمين.

❖ حال النبي قبل الوحي:

كان النبي عليه الصلاة والسلام قبل نزول القرآن يذهب إلى غار حراء يتحنث الليالي ذوات العدد، والتحنث كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها وهو من أوائل الأحاديث في صحيح الإمام البخاري: (أول ما بُدئ به النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة... وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد..)[1]

---

[1] [عن عائشة أم المؤمنين]: كانَ أوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصّادِقَةَ في النَّوْمِ، فكانَ لا يَرى رُؤْيا إلّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلاءُ، فكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ، وهو التَّعَبُّدُ، اللَّيالِيَ أُولاتِ العَدَدِ، قَبْلَ أنْ يَرْجِعَ إلى أهْلِهِ ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حتّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ، فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي، فَغَطَّنِي حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: قُلْتُ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثّانِيَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثّالِثَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ (٢)} [العلق: ١ - ٥]، فَرَجَعَ بها رَسولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوادِرُهُ، حتّى دَخَلَ على خَدِيجَةَ، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حتّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، ثُمَّ قالَ لِخَدِيجَةَ: أيْ خَدِيجَةُ، ما لي وأخْبَرَها الخَبَرَ، قالَ: لَقَدْ خَشِيتُ على نَفْسِي، قالَتْ له خَدِيجَةُ: كَلّا أبْشِرْ، فَواللَّهِ، لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، واللَّهِ، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ، فانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزّى، وهو ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أخِي أبِيها، وكانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العَرَبِيَّ، ويَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بالعَرَبِيَّةِ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَدِيجَةُ: أيْ عَمِّ، اسْمَعْ مِن ابْنِ أخِيكَ، قالَ ورَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ: يا ابْنَ أخِي، ماذا تَرى؟ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ ما رَآهُ، فقالَ له ورَقَةُ: هذا النّامُوسُ الذي أُنْزِلَ على مُوسى ﷺ، يا لَيْتَنِي فِيها جَذَعًا، يا لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قالَ ورَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بما جِئْتَ به إلّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. وفي رواية: أوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ وساقَ الحَدِيثَ بمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، غيرَ أنَّه قالَ: فَواللَّهِ، لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، وقالَ: قالَتْ خَدِيجَةُ: أي ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِن ابْنِ أخِيكَ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٦٠ • [صحيح]•

والتحنث: هو التعبد، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتحنث الليالي ذوات العدد؛ أي يذهب النبي عليه الصلاة والسلام ليالي ذوات العدد أي أكثر من ليلة، يجلس في غار حراء يتعبد لله سبحانه وتعالى.

فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن ينزل عليه القرآن على دين إبراهيم الذي هو الحنيفية، وكان في قوم من العرب يسمون الحنفاء أو يُدْعَون بالحنفاء، والحنيف: هو المائل، فالحنفاء هم المائلون عن الشرك، الذين لم يعبدوا الأصنام كعادة أقوامهم. وكان منهم عدد، مثل زيد بن عمرو بن نفيل الذي هو والد سعيد بن زيد –سعيد بن زيد هو أحد العشرة المبشرين بالجنة–، وكان منهم "ورقة بن نوفل" رضي الله عنه، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (أنه من أهل الجنة)[2]، وأخبر أيضًا (أن زيد بن عمرو بن نفيل من أهل الجنة ، وأنه يُبعث أمة وحده)[3] بين عيسى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان النبي عليه الصلاة والسلام قبل البعثة على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يذهب إلى غار حراء يتحنث، أي يتعبد الليالي ذوات العدد.

❖ نزول جبريل عليه السلام بالوحي:

إذًا كان النبي عليه الصلاة والسلام رجل على دين إبراهيم إلى أن حدث أمر عظيم في غار حراء؛ وهذا الأمر العظيم هو نزول الملك العظيم جبريل عليه السلام ملك الوحي، الملك الذي وكله الله عز وجل بإنزال الوحي على أنبيائه ورسله، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾[التكوير 19–٢٠] أي جبريل عليه الصلاة والسلام ذا قوة.

وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، قال النبي عليه الصلاة والسلام عن إحدى المرتين اللتين رأى فيهما جبريل صلوات الله وسلامه عليه: (رأيته قد سد الأفق)[4]، بل قال النبي عليه والسلام: (فجئت

---

[2] [عن عائشة أم المؤمنين]: لا تسبُّوا ورَقةَ بنَ نوْفلٍ، فإنِّي قدْ رأيتُ له جنةً أوْ جنَّتيْنِ.

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٧٣٢٠ • صحيح •

[3] [عن عبدالله بن عمر]: لقيتُ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفَيلٍ بأسفلِ بَلْدَحٍ وذلك قبل أن ينزلَ على رسولِ اللهِ ﷺ الوحيُ فقدَّم إليه سفرةً فيها لحمٌ فأبى أن يأكلَ وقال إنِّي لا آكلُ ممّا تذبحون على أنصابِكم ولا آكلُ إلّا ممّا ذُكر اسمُ اللهِ عليه وكان زيدٌ يصلِّي إلى الكعبةِ وكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ بعد ذلك فيه يُبعثُ أمَّةً وحدَه يومَ القيامةِ.

الدارقطني (ت ٣٨٥)، تاريخ دمشق ٥٠٨/١٩ •صحيح من حديث موسى بن عقبة عن سالم وهو غريب من حديث عبيد الله بن عمر عن موسى •أخرجه البخاري (٥٤٩٩) مختصراً باختلاف يسير •

[4] [عن عبدالله بن مسعود]: رأى رسولُ اللهِ ﷺ جِبريلَ في صورتِه ولهُ ستُّمائةِ جَناحٍ، كلُّ جَناحٍ منها قد سدَّ الأفُقَ، يسقُطُ مِن جناحِه التَّهاويلُ والدُّرُّ والياقوتُ ما اللهُ بهِ عليمٌ.

منه رعبًا)[5]، أي أن النبي عليه الصلاة والسلام عندما رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عز وجل عليها لم يستطع أن يتحمل عليه الصلاة والسلام، فجلس على الأرض من رعبه صلوات الله وسلامه عليه، (فجئثت منه رعبًا) أي: نزل على ركبتيه عليه الصلاة والسلام لعظم جبريل صلوات الله وسلامه عليه، وقد ورد في بعض الأحاديث أن جبريل له ستمائة جناح.

فيقول الله تعالى عن القرآن: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾[التكوير 19-٢٠] أي متمكن، له مكان عند الله سبحانه وتعالى، ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾[التكوير ٢١] ما معنى ﴿ثَمَّ﴾؟ أي هناك، أي: هو المطاع في أهل السماء؛ ولذلك ربنا سبحانه وتعالى كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: (إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل، يا جبريل، إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في أهل السماء، يا أهل السماء، إن الله يحب فلانًا فأحبوه، ثم يوضع له القبول في الأرض)[6]، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم. فجبريل هو المطاع في أهل السماء، أي هو سيد أهل السماء، وهو سيد الملائكة صلوات الله وسلامه عليه، فجبريل عليه السلام قال الله عز وجل عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ * مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾[التكوير 19-٢١] أي هناك أمين، فوصفه الله عز وجل بالقوة، ووصفه الله تعالى بالأمانة.

فنزل جبريل على النبي عليه الصلاة والسلام في غار حراء، فأخذه، والنبي عليه الصلاة والسلام منفردًا في الغار، وجاءه رجل لا يعرفه، وجعل هذا الرجل يأخذ النبي عليه الصلاة والسلام ويضمه إلى صدره، يقول عليه الصلاة والسلام: (فأخذني فغطني)[7]، وفي رواية: (فضمني)، وفي ورواية: (فغتني) يعني ضمه ضمة

ابن كثير (ت ٧٧٤)، تفسير القرآن العظيم ٤٢٧/٧ •إسناده حسن •أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) مختصراً، وأحمد (٣٧٤٨) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٤٢) باختلاف يسير • .

[5] [عن جابر بن عبدالله]: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وهو يُحَدِّثُ عن فَتْرَةِ الوَحْيِ، فَقالَ في حَدِيثِهِ: فَبَيْنا أنا أمْشِي إذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّماءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإذا المَلَكُ الذي جاءَنِي بحِراءٍ جالِسٌ على كُرْسِيٍّ بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، فَجَئِثْتُ منه رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعالى: {يا أيُّها المُدَّثِّرُ} إلى {والرُّجْزَ فاهْجُرْ} قَبْلَ أنْ تُفْرَضَ الصَّلاةُ وهي الأوْثانُ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٩٢٥ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٤٩٢٥) واللفظ له، ومسلم (١٦١) • .

[6] [عن أبي هريرة]: إذا أحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نادى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنادِي جِبْرِيلُ في أهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في أهْلِ الأرْضِ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٠٤٠ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٣٧) •

[7] [عن عائشة أم المؤمنين]: عَنْ عائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أنَّها قالَتْ: أوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرى رُؤْيا إلّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلاءُ، وكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التَّعَبُّدُ - اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ قَبْلَ أنْ يَنْزِعَ إلى أهْلِهِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حتّى جاءَهُ الحَقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّانِيَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي،

شديدة إلى صدره، ثم أرسله وقال له: (اقرأ)، قال: (ما أنا بقارئ) أي أنا لا أعرف القراءة، ماذا أقرأ؟ فأخذه الثانية وفعل به مثل الأولى، ثم أرسله وقال له: (اقرأ)، قال: (ما أنا بقارئ)، فأخذه الثالثة، ثم أرسله، وقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ * ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[العلق 1-٥] هذه الآيات الخمس من أول سورة العلق، فكانت هذه الآيات هي أول آيات نزلت في كتاب الله سبحانه وتعالى.

❖ فترة الوحي:

بعد ذلك بدأ الوحي بالنزول على النبي عليه الصلاة والسلام، فتر الوحي فترة؛ أي: توقف الوحي عن النزول على النبي عليه الصلاة والسلام فترة من الزمان، ثم أنزل الله عز وجل بعد فترة الوحي سورة المدثر.

ما معنى فترة الوحي؟ الفترة والفتور: الانقطاع، انقطع الوحي عن النبي عليه الصلاة والسلام بعد هذا النزول الأول، فظل القرآن لا ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام حتى أن قريشًا كانت تقول للنبي عليه الصلاة والسلام: "ما نرى شيطانك إلا قد تركك"، الشيطان الذي كان ينزل عليه، فقال الله عز وجل له: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[الضحى ٣] ، ما معنى ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾؟ وما أبغضك، القلا: هو الهجر والبغض؛ ولذلك يقول كثير عزة:

أَسِيئي بِنا أَو أَحسِني لا مَلومَةً

لَدينا وَلا مَقلِيةً إِن تَقَلَّت

"ولا مقلية" ما معناها؟ نحن لن نهجرك، أي: أنتِ مهما أسأتي لن نهجرك ولن نتركك كما تركتينا.

فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثّالِثَةَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ} [العلق: ١- ٣] فَرَجَعَ بها رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤادُهُ، فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فقالَ لِخَدِيجَةَ وأَخْبَرَها الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ على نَفْسِي فقالَتْ خَدِيجَةُ: كَلّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ، فانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العِبْرانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بالعِبْرانِيَّةِ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَدِيجَةُ: يا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فقالَ له ورَقَةُ: يا ابْنَ أخِي ماذا تَرى؟ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ ما رَأى، فقالَ له ورَقَةُ: هذا النّامُوسُ الذي نَزَّلَ اللَّهُ على مُوسى، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ. وقال: يونس ومعمر (بوادره).

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) •

فالنبي عليه الصلاة والسلام نزل عليه بعد فترة الوحي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ * قُمۡ فَأَنذِرۡ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ * وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ * وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾[المدثر 1-٦] إلى أن حكى الله عز وجل قول المشركين، وأنهم كانوا يقولون... قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ * فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾[المدثر 18-٢٤] أي القرآن، ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾[المدثر ٢٥]، قال الله تعالى: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ * عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾[المدثر 26-٣٠] نسأل الله العفو والعافية.

❖حال العرب مع اللغة:

فكان النبي عليه الصلاة والسلام يتلو هذا القرآن على مسامع المشركين، والقرآن كلام لكنه كلام ليس كالكلام؛ لأنه كلام الله سبحان وتعالى؛ ولذلك العرب الذين كانت صنعتهم الكلام انبهروا أمام هذا الكلام بل كانوا يعقدون للكلام أسواقًا، تخيل أن هناك أسواقًا.. ماذا يبيعون فيها؟ يبيعون فيها الكلام. وكانوا يعرضون الكلام على كبرائهم، فتخيل أن تظل طوال العام هكذا تعد قصيدة من القصائد؛ حتى عندما يأتي سوق عكاظ فتعرض هذه القصيدة، وكان لدى العرب اهتمام خاص بأشعارهم، أليس لدينا المعلقات؟ و اختلف العلماء في سبب تسميتها بالمعلقات.

فهذه المعلقات هي "عيون الشعر" في العصر الجاهلي؛ فاختلف العلماء في تسميتها بالمعلقات، فيقول بعض العلماء –المعروف لدينا أنها معلقات– فلماذا سميت المعلقات بهذا الاسم؟ لأنها علقت على أستار الكعبة، ويقول بعض العلماء: بل سميت بالمعلقات لتعلقها بالقلوب؛ لأن قلوب العرب تعلقت بهذا الكلام.

ومع ذلك لما نزل كلام الله سبحانه وتعالى بطل كل كلام، فورد أن لبيد بن ربيعة العامري وهو أحد شعراء المعلقات السبعة، ورد أن لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه وهو الوحيد من شعراء المعلقات الذي أدرك الإسلام وهو الوحيد الذي أسلم من شعراء المعلقات؛ ورد أنه لما نزلت سورة البقرة ترك الشعر، وقال: أغنتني عنه سورة البقرة، أي أن سورة البقرة أغنته عن سائر الكلام.

فلما نزل القرآن الكريم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وظل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار على قلوب هؤلاء المشركين، فتحولت هذه القلوب من قلوب تعبد الأوثان إلى

قلوب تعبد الرحمن سبحانه وتعالى، لقد تحولت هذه القلوب حتى أن بعض الصحابة كان ربما قد يُسلم بسبب سماع آية واحدة من القرآن. وجبير بن مطعم رضي الله عنه وأرضاه كما في حديث الصحيحين كان يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم -وكان جبير مشركًا حينها- سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ * فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ * وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ * وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ * وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾[الطور 1-٦] فقال سمعته يقرأ سورة الطور حتى وصل إلى قول الله عز وجل: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾[الطور ٣٥] قال: "**كاد قلبي أن يطير**" من شدة هذا الكلام.

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾[المزمل ١] ماذا يعني المزمل؟ يعني المتغطي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا * نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا * أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا * إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾[المزمل 1-٥] فهذا هو القول الثقيل الذي أنزله الله عز وجل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❖ نزول القرآن مفرقًا:

ظل القرآن ينزل علي النبي صلي الله عليه وسلم بحسب الوقائع والأحداث، بخلاف الأمم السابقة، الكتب السابقة كثير من أهل العلم يقولون أنها نزلت جملة واحدة وهي التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى، فكثير من العلماء يقولون أن هذه الكتب نزلت جملة واحدة. إنما القرآن لم ينزل مرة واحدة وإنما أنزله الله عز وجل مفرقًا مُنجمًا، -التنجيم يعني التفريق-؛ فقال الله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾ وفي قراءة أخرى يقول الله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَّقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ -أي تؤدة وتمهل- ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا * قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا * وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا * وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ۩﴾[الإسراء 106-١٠٩]، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القرآن حقًا ويتلونه حق تلاوته.

فالنبي صلي الله عليه وسلم كان ينزل عليه القرآن منجمًا أي مفرقًا حسب الوقائع والأحداث، فكان النبي صلي الله عليه وسلم ربما حدثت حادثة مثلًا ونزل القرآن، وربما لم تحدث حادثة ونزل القرآن ابتداءً عليه؛ لذلك هناك في علوم القرآن ما يسمى: ((أسباب النزول))، فماذا تعني أسباب النزول؟

القرآن من حيث النزول ينقسم إلى قسمين: قرآن ابتدائي، وقرآن سببي. القرآن الابتدائي: الذي نزل بغير سبب، نزل هكذا على النبي صلي الله عليه وسلم؛ ولكن هناك قسم آخر يسمى ((القرآن السببي)) أي نزل بسبب حادثة ما.

ولذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها: "سبحان الذي وسع سمعه جميع الأصوات"؛ كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غرفة واحدة وبينهما ساتر، والمرأة تحكي للنبي صلى الله عليه وسلم مشكلتها، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة ١] فتقول إني معه في نفس الغرفة، ولم أسمع كلام السيدة، ومع ذلك سمع الله عز وجل شكواها وأنزل الله تعالي في شأنها قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة.

وظل القرآن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته ثلاثة وعشرون عامًا، فكم عام ظل يتنزل القرآن؟ ثلاثة وعشرون عامًا، فينزل القرآن العظيم إذا ما حدثت حادثة، أو ينزل القرآن العظيم ليثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه أعظم فائدة من تلاوة القرآن على تؤده وتمهل، فلا يجب علينا أن نقرأه سريعًا سريعًا. لذلك عندما كان يأتي لبعض الصحابة بل لكثير من الصحابة أحد الناس فيقول لهم: إنني اليوم ختمت القرآن، فيقول الصحابي له: هذًا كهذ الشعر؟ – أي تقرأه على عجالة ولا تتدبر– لَأَن أقرأ المفصل أحب إلي من أن أختم القرآن.

فكم يبلغ هذا المفصل –من أي سورة– ؟ من سورة ق إلي سورة الناس، أو من سورة الحجرات إلى سورة الناس؛ اختلف العلماء، والمشهور أنه من سورة ق إلى سورة الناس، فقال: إني أقرأ هذا المفصل في يوم وأقف وأتفكر في هذا الكلام العظيم، أحب إلي من أني أختم القرآن كله في يوم.. ولذلك نهى النبي صلي الله عليه وسلم أن يُختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام. وبالتأكيد هذا بخلاف الأزمنة الفاضلة والأماكن الفاضلة، فالموضوع يختلف في الأزمنة الفاضلة والأماكن الفاضلة، حيث يمكن أن يُختم القرآن كل يومٍ في رمضان مثلًا، أو في شعبان، في الحج أو في العمرة، وفي الحرم النبوي أو الحرم المكي، فيمكن للإنسان أن يختم القرآن أكثر حتى لو يختمه في يوم؛ فلا مشكلة في ذلك، لكن خارج هذه الأيام نهى النبي صلي الله عليه وسلم أن يُختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام.

إذًا ظل يتنزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرون عامًا، ينزل بحسب الوقائع والأحداث، وينزل ليثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ

﴿ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[الفرقان ٣٢] فلماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة؟ قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ماذا تعني كذلك؟ تعني: فعلنا ذلك، أي فعلنا ونزلنا عليك القرآن مفرقًا ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾.

❖كتبة الوحي:

فظل القرآن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم كما قلت لكم مدة ثلاثة وعشرين عامًا، فكان النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المدة يُكتب القرآن عنده، ففي مكة كان القرآن يُكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان هناك مصطلح اسمه ((كتبة الوحي))، فمن تعرفون من كتبة الوحي؟

١. **معاوية رضي الله عنه كان من كتبة الوحي.**
٢. **زيد بن ثابت من أشهر كتبة الوحي.**
٣. **عثمان رضي الله عنه كان من كتبة الوحي.**
٤. **على بن أبي طالب رضي الله عنه كان من كتبة الوحي.**
٥. **أُبي بن كعب كان من كتبة الوحي.**

لكن أشهر هؤلاء زيد رضي الله عنه وأرضاه، هل زيد بن ثابت أم ابن حارثة؟ زيد بن ثابت، فمن هو زيد بن حارثة؟ هذا الذي كان يُدعى في الجاهلية زيد بن محمد، وهو أبو أسامة بن زيد رضي الله عنهم جميعًا.

إنما زيد بن ثابت رضي الله عنه كان كاتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم عندما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة، لأن زيد بن ثابت كان أنصاريًا، لكن كان هناك كتبة للوحي للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة، فمن أشهرهم كان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة: عبدالله بن عمرو بن العاص.

عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقد كان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، كان يكتب القرآن وكان يكتب السنة أيضًا، ولذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه: "وكان يكتب ولا أكتب"، فأبو هريرة كان يحفظ فقط، فقد كان هناك أناس من العرب لا يعرفون القراءة والكتابة، فكانت أمة العرب أمية. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب، من لا يقرأ لا

يكتب، فالشهر هكذا وهكذا وهكذا..)[8] الحديث؛ فالمقصود أنه كان هناك كتبة للوحي عند النبي صلى الله عليه وسلم في مكة. وكان أيضًا يُكتب الوحي والنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، لكن القرآن لم يُجمع بين دفتين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك يا إخواني في الله؛ هذا أمر مهم، أن تتعرف على تاريخ هذا الكتاب المجيد، وهذا يزيد الإنسان طمأنينة وراحة، وانشراح صدر، أن يعرف مقدار حفظ الله عز وجل لهذا الكتاب، وكيف وصلك القرآن. تخيل أن ثلاثة وعشرين عامًا ينزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك من يحفظ القرآن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار، لماذا؟ لأن القرآن هو الرسالة؛ وهو آية الرسالة أيضًا.

القرآن اجتمع فيه شيئان: اجتمع فيه أنه الرسالة، وهو أيضًا آية الرسالة، إذًا فما الدليل على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم؟ القرآن، وما رسالة النبي صلى الله عليه وسلم؟ القرآن أيضًا.

ولذلك لخص الله عز وجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾[الأنعام ١٩] لأنذركم به: تعني أنه خلاصة الرسالة، بماذا أنذركم؟ ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ﴾[الأنبياء ٤٥] فما هو الوحي؟ هو القرآن، والسنة أيضًا التي أنزلها الله عز وجل لبيان هذا الوحي، فقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[النحل ٤٤].

إذًا ظل النبي صلى الله عليه وسلم في فترة بعثته صلوات الله وسلامه عليه التي كانت ثلاثًا وعشرين سنة، لم يُجمع القرآن بين دفتين في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

❖انقطاع الوحي بوفاة النبي ﷺ:

بعدما مات النبي صلى الله عليه وسلم وشاء الله عز وجل أن ينقطع الوحي من السماء، وكان انقطاع الوحي من السماء من أعظم الأحداث التي مرت بأصحاب النبي صلي الله عليه وسلم، وقد زار أبو بكر

[8] [عن عبدالله بن عمر]: نحنُ أُمَّةٌ أُمِّيُّون لا نَحسُبُ ولا نكتُبُ الشهرُ هكذا وهكذا وهكذا وقبَض إبهامَه في الثالثةِ.

أحمد شاكر (ت ١٣٧٧)، تخريج المسند لشاكر ٢١١/٨ •إسناده صحيح •أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠) باختلاف يسير •

رضي الله عنه وأرضاه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه أم أيمن، فمن أم أيمن؟ أم أيمن هي حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم. فذهبا لزيارتها لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزورها ويودها صلوات الله وسلامه عليه، فلما جلس عندها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما بكت أم أيمن؛ وهذا حدث بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فسألاها: لم تبكين يا أم أيمن؟ فقالت: لانقطاع الوحي من السماء.

يا الله! فانظر كانا يسألاها لم تبكين؟ هل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات؟ قالت: لا، فما عند الله خير لرسول الله صلى الله وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما خُير صلوات الله وسلامه عليه قال: (بل الرفيق الأعلى)[9]؛ لكنها تبكي لأمر آخر؛ ألا وهو انقطاع الوحي من السماء.

إذًا كان الوحي بالنسبة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء عظيم؛ أن ينزل الوحي فهذا شيء عظيم، إنها لحياة يمدوا بها؛ ولذلك –وانتبهوا إلى هذه الآية– يقول الله تعالى عن القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[الشورى 52-٥٣].

فالوحي أمر عظيم؛ والإنسان إذا ما انقطع الوحي من قلبه فقد حياته، فالوحي بالنسبة للقلب مثل الماء بالنسبة للسمك تمامًا، فإذا خرج السمك من الماء مات؛ فكذلك القلب إن لم يتغذى بالوحي، فالقلب إذا انقطع عنه الوحي أصبح قلبًا ميتًا. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، كمثل الحي والميت)[10].

---

[9] [عن عائشة أم المؤمنين]: مات رسولُ اللهِ ﷺ في يومي بَيْنَ سَحْري ونَحْري فدخَل عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي بكرٍ عليه ومعه سواكٌ رَطْبٌ فنظَر إليه فظنَنْتُ أنَّ له إليه حاجةً فأخَذْتُه فمضَغْتُه وقضَمْتُه وطيَّبْتُه فاستَنَّ كأحسَنِ ما رأَيْتُه مُستنًّا ثمَّ ذهَب يرفَعُ فسقَط فأخَذْتُ أدعو اللهَ بدُعاءٍ كان يدعو به جِبريلُ أو يدعو به إذا مرِض فجَعَل يقولُ: (بَلِ الرَّفيقَ الأعلى مِن الجنَّةِ ـ ثلاثًا ـ) وفاضَتْ نفسُه ﷺ فقالتِ: الحمدُ للهِ الَّذي جَمَع بَيْنَ رِيقي ورِيقِه في آخِرِ يومٍ مِن الدُّنيا.

ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٦٦١٧ • أخرجه في صحيحه •

[10] [عن أبي موسى الأشعري]: مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤٠٧ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) •

❖ جمع القرآن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم من الذي تولى الخلافة بعده؟ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه هو الذي تولى الخلافة بعد النبي صلي الله عليه وسلم. فطرأ أمر جديد؛ حدثت حادثة جديدة؛ وهي موت القراء؛ فمن هم القراء؟ هم حفظة القرآن. مات كثير من القراء، وفي معركة اليمامة مات سبعون قارئًا في معركة واحدة من حفظة كتاب الله سبحانه وتعالى، فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر فقال له: يا أبا بكر إن القتل قد استحر بالقراء في المواقع؛ أي في المعارك؛ إنهم يموتون؛ وإني أخشى أن يذهب القرآن؛ فأقبل على القرآن فاجمعه. قال له إن القراء يموتون واحدًا تلو الآخر، ويجب أن نحافظ على هذه التركة.

سبحان الله جعل الله عز وجل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم حملة الوحي؛ هم الطريق الذي أوصل الله عز وجل لنا هذا الوحي من خلاله، ولذلك الطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو إسقاط للدين؛ صحيح. فلك أن تتخيل أن من يطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يطعن في الذين حملوا الدين إليك؛ فإذا كان من حمل الدين إليك إنسان سيء؛ إذًا ما الذي يضمن لنا أن هذا الدين قد وصل إلينا سليمًا! أليس كذلك، فلذلك الطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة. لكننا بحمد الله تعالى نعرفُ حقَ أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله تعالى عنهم.

فقال له: "لنجمع القرآن". أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه قال: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له عمر: "هو والله خير"، فلم يزل به، أي كما نقولُ نحنُ مازال يُلحُ عليه، "فلم يزل بِهِ حتى شَرحَ الله صَدرهُ لجمع القرآن".

إذًا فمن يجمع القرآن؟ فقال: زيد بن ثابت، نأتي بزيد بن ثابت ونجعله يجمع القرآن، فذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت وقال له مثلما قال عمر رضي الله عنه: "إن القتل قد استحرَ بالقُراء، وإني أرى أن تجمع القرآن"، فقال زيد: كيف أفعل شيئًا لم يفعله النبي عليه الصلاة والسلام، فلم يزل بِهِ أبو بكر رضي الله عنه حتى شرح الله صدرهُ إليه، ظل أبو بكر رضي الله عنه يُلحُ على زيد بن ثابت حتى وافق زيد بن ثابت أن يتولى هذه المهمة. فقال له أبو بكر "إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ"، أي أنه لم يختار زيد

بن ثابت عبثًا، فلم يره يمشي أمامهُ ثم طلب منهُ جمع القرآن، لا، بل اختاروه لأن فيه مؤهلات لأن يجمع القرآن؛ أليس كذلك؟

لم يختاروا أي صحابي كان يمشي أمامهم في الشارع ثم طلبوا منه أن يجمع القرآن! لا، بل اختاروا زيد بن ثابت لأمر، فما هي مؤهلات زيد بن ثابت؟ قال: "إنك رجلٌ شابٌ" وبالتأكيد الشباب أقدر على تحمل هذه المهمة الشاقة، "إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ لا نتَّهِمُك" أي ليس عليك شائبة، "لا نَتَّهِمُكَ وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم" أي أن زيد بن ثابت كان يكتب الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث أن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يكتب الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[النساء ٩٥]، فجاء عبدالله ابن أُم مكتوم إلى النبي عليه الصلاة والسلام يشكو ضَرارتُهُ، كان عبدالله ابن أُم مكتوم أعمى، وهو الذي أنزل الله عز وجل سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[عبس ١] في شأنهِ، انظر، سبحان الله! القرآن يا أخوان يَحملُ صِدْقَهُ:

١-فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام قد جاء بهذا القرآن من عند نفسه لكان أخفى هذا الأمر، أليس كذلك؟! أي لماذا يذكر في القرآن ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[عبس 1-٣] لماذا يذكر هذا الخطاب الشديد إذا كان هذا القرآن من تأليفه؟ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ * أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾[عبس 3-٧] أي اتركهُ وشأنه، الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس 7-١١].

٢-وفي الآية الأخرى يقول الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[الحاقة 44-٤٧].

٣-وأيضًا يأتي النبي عليه الصلاة والسلام يُبلغ الصحابة ويقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة ٦٧] فكيف له أن يفعل هذا إذا كان كاذبًا! أي أنه عليه الصلاة والسلام كان له حُرَّاس، فلما نزلت هذه الآية صَرَفَ الحُراس، وكان هذا ليلًا عندما نزلت عليه هذه الآية، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام

وقال للذي كان يحرسه اذهب إلى بيتك وتلى عليه هذه الآية، فلو كان كاذبًا لانتظر حتى الصباح، أليس كذلك! لكنه نزل ليلًا وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

فالقرآن يَحملُ دلائل صدقه، نعودُ مرةً أُخرى، فكان زيد رضي الله عنه يقول أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يضع رجله على فخذ زيد رضي الله عنه وأرضاه، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾[11]، قال: فَخِفْتُ أن تُرَضَّ قدمي، لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا نزل عليه القرآن ثَقُلْ، حتى إذا نزل عليه وهو على دابته فإن البعير الذي يكون عليه يكاد يبرك، البعير لم يعد يستطيع حمل النبي عليه الصلاة والسلام كان ينزلُ من شدةِ القرآن.

وقالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها: "كان القرآن ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام في اليوم الشاتي –أي في الشتاء–، وإن جَبينهُ ليَتَفَصَّدُ عرقًا" أي أنه في الشتاء ولكن النبي عليه الصلاة والسلام عندما ينزل عليه القرآن يتصبب العرق منه من ثُقل هذا الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❖طريقة سيدنا زيد في جمع القرآن:

إذًا أبو بكر رضي الله عنه قال لزيد: "إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ لا نَتَّهِمُكَ وقد كنت تكتب الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام فأقبل على القرآن فاجمعه"، فبدأ زيد رضي الله عنه وأرضاه يجمع القرآن من أدوات الكتابة التي كانت متوفرة في ذلك الوقت.

ولم يكن متوفر أيام النبي عليه الصلاة والسلام الورق مثلما هو مُتوفر في زماننا، حيث أن أدوات الكتابة أيضًا كانت تُناسب هذا العصر، فكانوا يكتبون أحيانًا على الجلود، وعلى العظام، وعلى العُسُب – عُسُب النخل– فعندما يُأَبَّرُ النخل يخرج منه ما يَشبِهُ الورق فكانوا يكتبون عليه، وكانوا عندما يجدون عظمة كبيرة مثل لوح الكتف أو ما شابه يكتبون عليها، وكانوا يكتبون على الحجارة، المهم أنهم كانوا يكتبون على أدوات الكتابة المتوفرة لديهم في هذا العصر.

فجمع زيد بن ثابت رضي الله عنه كل هذا بطريقة خاصة، أي أنه كان لديه شروط في جمع القرآن، فلا يجمعه هباءً، فكان يسمع الآية أولًا –وهو حافظ للقرآن– ويُشْهِدْ على الآية اثنان بأن هذا كُتِبَ في

[11] ذكرت هذه الآية في [انور 61] و[الفتح 17].

زمان النبي عليه الصلاة والسلام، انظر إلى الطريقة؛ يُشْهِد اثنين. وظلت آية واحدة فقط التي هي آخر سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة ١٢٨] صلى الله عليه وسلم. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة ١٢٩]، لم يجد زيد رضي الله عنه هذه الآية إلا عند واحد فقط من الصحابة، كيف!

وهناك فرق ما بين أنه لم يجدها مكتوبة وبين أن الصحابة كانوا حافظين لها، أي أن الصحابة جميعًا كانوا يعرفون هذه الآية، لكنه لم يجدها مكتوبة إلا عند هذا الرَجُل، وهو أَبي خُزيمة الأنصاري على اختلاف في الروايات، ويشاء الله سبحانه وتعالى أن النبي عليه الصلاة والسلام جعل شهادتهُ بشهادة رجلين، فَيُثبتُها زيد رضي الله عنه وأرضاه وكان هذا في عهد أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه.

ثم يأتي عهد عمر بن الخطاب مثل عهد سيدنا أبو بكر، نفس المصحف المكتوب، والناس يقرأون القرآن، وسيأتي إن شاء الله تعالى معنا أن اهتمام الصحابة لم يكن مُنصبًا على الجمع –أنهم يكتبون القرآن فقط– لا، بل كان هناك اهتمامات واسعة بالقرآن في عهد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام اهتمام بالحفظ، واهتمام بالقراءة، واهتمام بالإقراء، واهتمام بالتفسير، فلم يكن اهتمام بالجمع فقط.

❖ جمع القرآن في خلافة عثمان رضي الله عنه:

في عهد عثمان رضي الله عنه وأرضاه بدأ الناس يختلفون في القرآن؛ فماذا حدث في عهد عثمان؟ حدثت الفتوحات، فأصبح هناك أناس غير العرب يُقبلون على القرآن العربي، شخص غير عربي يقرأ القرآن، فيكون في بداية تعلمه العربية ويقرأ في المصحف، فأصبح هناك اختلافات، لأن القرآن نزل على سبعة أحرف، فتجد الشخص يقول أن قراءته صحيحة وقراءة الآخر خطأ، فأصبح هناك اختلاف.

وبالتأكيد الذي ينطلق من المكتوب يُخطئ، حتى الآن لو أن أحدًا انطلق من المكتوب يخطئ، أليس كذلك؟ فعلى سبيل المثال، تجد الصلاة مكتوبة بالواو {الصلوة} مع أنه لا يوجد أحد في العالمين يقرأها "الصلواة" هكذا أبدًا، بل جميعنا نقرأها "الصلاة"، فإذا الشخص انطلق من المكتوب يُخطئ. **لذلك يجب على الإنسان أن يتعلم القرآن من شيخ**، ولذلك كانوا يقولون لا تأخذ العلم من صحفي، ليس

المقصود بصحفي أنه يعمل في الأخبار والأهرام لكن المقصود أنه يقرأ من الصحف، وليس صُحُفي، صُحُفي هذه خطأ، لأن أصل صَحفي ليست مأخوذة من الصُحف –خطأ–، عندما تنسب يجب أن تَرُدَها إلى المفرد وليس الجمع، هي أصلها صحيفة.

إذًا لا تأخذ العلم من صَحَفي ولا القرآن من مُصحفي، أي أن شخصًا أخذ القرآن من المصحف فقط، فتح المصحف وقرأ فيه، فلا تأخذ منه القرآن، إنما القرآن يُتلقى من أفواه الشيوخ، لأنه به الإله أنزل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾[النمل ٦]، كان سيدنا جبريل ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام يُقرِؤهُ القرآن. قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[القيامة ١٦]، كان سيدنا جبريل ينزل بالقرآن على النبي عليه الصلاة والسلام، فيَسمع القرآن من جبريل عليه السلام ويقرأ سريعًا عليه حتى يستطيع أن يحفظ صلوات الله وسلامه عليه، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة 16-١٧] جمعه في صدرك، ما معنى وقرآنه؟ أي قراءته عليك مرة أُخرى. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾[القيامة ١٨] أي قرأه الملك ويعني جبريل، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي استمع وأنصت، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة 18-١٩] أي جمعه في صدرك وبيانه على لسانك.

فلما حدث اختلاف، جاء حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه وأرضاه وقال: "أدرك الناس قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى"، قال: فماذا أفعل إذًا؟ قال: اجمع القرآن وابعث المصاحف إلى الأمصار وكل صحابي يذهب يُقرئ الناس بما يوجد في مصحفهِ. فَجَمَعَ عثمان رضي الله عنه وأرضاه القرآن، ثم يسأل سائل: ألم يُجمع القرآن بالفعل في عهد سيدنا أبو بكر؟ فما الذي فعله عثمان إذًا؟

❖ الفرق بين جمع القرآن في عهد أبو بكر وعهد عثمان:

انتبه لما حدث في عهد عثمان، أول شيء لجنة الجمع، من الذي جمع القرآن في عهد سيدنا أبو بكر؟ زيد رضي الله عنه وأرضاه، لجنة الجمع في عهد عثمان اختلفت، ولكن كان فيها زيد أيضًا، أي أن زيدًا اشترك في لجنة الجمع في عهد أبو بكر رضي الله عنه وأيضًا في عهد عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

فكانت لجنة الجمع في عهد عثمان كانت مكونة من: زيد بن ثابت، وثلاثة آخرون منهم سعيد بن العاص رضي الله عنه، هؤلاء الثلاثة كانوا قُرَشيين، إذًا لجنة الجمع اختلفت، فأصبحت مكونة من ثلاثة

قُرَشيين وواحد من المدينة، أي من الأنصار. إذًا صحابي أنصاري وثلاثة مُهاجرين. قد يسأل سائل: ما الفائدة من هذه المعلومة؟

انتبه: لأن رسم المصحف يختلف من مكان لآخر، لأنهم كانوا يرسمون حسب زمانهم، فتجد مثلًا هنا، إلى الآن. إذا كتبت كلمة "مسؤول"، كيف تكتبها؟ هناك ناس يكتبون "مسؤول" على الواو، وهناك ناس يكتبونها على نبرة "مسئول"، إذًا إما واو أو نبرة، فأين الاختلاف؟ الاختلاف في رسم الكلمة، أي أن الكلمة رسمها مُختلف. فكان هناك أيضًا اختلاف في رسم الكلمة عند القُرشيين عن الأنصار، إذًا عند الكتابة سوف يكتبون على لسانِ مَنْ؟ على لسان القُرشيين. قال لهم عثمان رضي الله عنه وأرضاه إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش.

إذًا لجنة الجمع في عهد أبي بكر وعهد عثمان مختلفة، في عهد أبي بكر كان صحابي واحد، وفي عهد عثمان كانوا أربعة، بالطبع كان يوجد غيرهم لكن هؤلاء الأربعة المشهورين، ثلاثة قُرَشيين مُهاجرين وصحابي أنصاري، –انتبهوا– إذاً بالتأكيد سوف يختلفون عندما يكتبون، هذا يُريد أن يرسم مثل القُرشيين، وهذا يُريد أن يرسم مثل الأنصار.

وضع عثمان لهم منهجًا مُختلفًا، وبالطبع لم يكن هذا الكلام في عهد أبو بكر، في عهد أبي بكر كان صحابي واحد فقط هو الذي يكتب، هو زيد رضي الله عنه وأرضاه فقال عثمان–: "إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم" أي القرآن. أي عندما تختلفون في رسم كلمة مثل كلمة "التابوت"، التاء هنا في "التابوت" يمكن أن تكتب تاء مفتوحة أو تاء مربوطة –فيمكن أن ترسم هكذا أو هكذا–، فقال لهم إذا اختلفتم فكتبوه بلسان قريش.

إذًا فلجنة الجمع مختلفة أم متفقة؟ مختلفة؛ وبالتالي منهج الكتابة مختلف، كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه بحسب ما يكتب، ولكن في عهد عثمان رضي الله عنه كان معروفًا أنه يجب أن يكتب على لسان قريش.

ومن أين سنكتبه؟ فقال أحضروا الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر رضي الله عنه، فالصحف التي كتبت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم جمعت في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ففي عهد عثمان أحضروا الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر. أين كانت تلك الصحف؟ كانت أولًا عند أبي بكر؛ فقد كان هو الخليفة، وبعدما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه انتقلت الصحف إلي الخليفة الذي

جاء بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعندما مات عمر، انتقلت هذه الصحف إلى حفصة ابنته وأم المؤمنين زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فانتقلت هذه الصحف من أبي بكر إلى عمر إلى حفصة رضي الله عنهم، فذهب عثمان رضي الله عنه إلي السيدة حفصة رضي الله عنها، وقال لها نحن بحاجة إلي ما لديك من صحف، فننسخها ثم نكتب مصاحف، ونرسلها إلى الأمصار، فوافقت السيدة حفصة رضي الله عنها على إرسال الصحف لعثمان رضي الله عنه، وكتبوا بالفعل عدة نسخ من المصحف، فكم نسخة قد كتبوا؟ الصحيح أنهم كتبوا ستة نسخ من المصحف.

- نسخة عند عثمان ملكًا له وخاصة به، ويسمى عند بعض العلماء بالمصحف الإمام.

- ومصحف أهل المدينة، والذي كان يقرأ به زيد رضي الله عنه لأنه كان مقرئ أهل المدينة.

وأما المصحف الذي بقي عند عثمان بن عفان رضي الله عنه هو الذي سال دمه عليه يوم الدار؛ يوم مقتل عثمان رضوان الله عليه، لما دخل عليه الخوارج ليقتلوه كان يقرأ في المصحف، فلما قتل وقع دمه على قول الله عز وجل: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[البقرة ١٣٧]. عندما قتل عثمان رضي الله عنه وتناثر دمه على المصحف الشريف، فوجدوا أن الآية ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ تناثر عليها دمه، وكان عثمان رضي الله عنه من أعظم الناس أجرًا في المصاحف، فأعظم الناس أجرًا أمر عظيم؛ فسبحان الله، عندما يأتي هذا الموضع فيوفق الله عز وجل من شاء إلى ما شاء.

فلك أن تتخيل أن كل شخص يفتح المصحف في ميزان أبي بكر الصديق وهذا من عظمته؛ فلماذا هو أفضل شخص في هذه الأمة؟ فما فعله أبو بكر ليس بالقليل، فكل شخص يفتح المصحف سواءً كان مكتوبًا ورقيًا أو إلكترونيًا -تطبيق-؛ أو أي آية مكتوبة في أي كتاب في العالم، يرجع الأجر إلى سيدنا عثمان بن عفان ومن قبله إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ومن قبلهما النبي صلّى الله عليه وسلم؛ فكل حسنات هذه الأمة في ميزان النبي، فنحن لم نعرف الدين إلا منه صلى الله عليه وسلم؛ فهذا الدين هو مبلغه صلى الله عليه وسلم .

ولذلك قال علي رضي الله عنه: "أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر"، فعثمان رضي الله عنه جعل نسخة عنده، وأرسل نسخة إلى مكة، ونسخة إلى المدينة، ونسخة إلى الشام، ونسخة إلى البصرة، وأخرى إلى الكوفة، ولم يرسل إلى مصر ....

فالنسخة الأولى هي نسخة سيدنا عثمان رضي الله عنه، ونسخة المدينة، ونسخة الشام، ونسخة مكة، ونسخة الكوفة، ونسخة البصرة، وأرسل مع كل نسخة منها قارئًا يُقرِئ الناس بما فيها –فتخيلوا هذا الأجر العظيم–.

❖القراء السبعة:

بدأ الناس بعد ذلك يقرأون القرآن بحسب ما يقرئهم به أشياخهم، إلى ما بدأ يظهر ما يسمى باختيار القراء؛ فجاء الإمام أبو بكر بن المجاهد، كتب كتابًا اسمه "السبعة"، اختار فيه سبعة قراء وهم أشهر سبعة قراء في العالم الإسلامي، وننقل هذه القراءات بالأسانيد المتصلة إلى هؤلاء القراء، فمن هم القراء السبعة؟

نحن نقرأ بقراءة اسمها قراءة حفص عن عاصم، فعاصم هو الشيخ إذًا كل الشيوخ الذين سأذكرهم الآن هم نفس رتبة عاصم وليس حفص، فلدينا حفص عن عاصم، وهناك نظير حفص وهو شعبة أبو بكر بن عياش.

وذاك ابن عياش أبو بكر الرضا

وحفص وبالإتقان كان مفضلًا

أبو بكر بن عياش هو شعبة رضي الله عنه، وهو نظير عاصم، فقد نقل حفص عن عاصم وشعبة عن عاصم، إذًا من مثل عاصم شيخ؟ نافع؛ وكان مقرئ أهل المدينة، نعم فأنتم تسمعون عن ورش عن نافع، قراءة ورش عن نافع، فنافع هو الشيخ، وكان يوجد شخص مثل ورش اسمه قالون؛ الذي يقرأ بقراءته أهل ليبيا.

فنحن في مصر نقرأ بقراءة حفص عن عاصم، ويقرأ الحجاز والعالم الإسلامي الآن بها، وبالرغم من أن أهل مصر لم يكونوا يقرأون بقراءة حفص، فقد كانوا يقرأون بقراءة ورش عن نافع حتى القرن الرابع

الهجري، ومنذ القرن الرابع الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري كانوا يقرأون بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، و من بعد ذلك –القرن الثاني عشر الهجري– بدأ أهل مصر يقرأون بقراءة حفص.

ولذلك تبقى في لهجتنا بقايا من هذه القراءات؛ فمثلًا نقول: " أَخَتّ حاجة" هي أصلها "أخذت"، لذلك تقول دول كثيرة: هل أخذت شيئًا؟ ولكن لدينا نقول: "أَخَت حاجة"؛ فهذا القول من قراءة ورش وباقي حتى الآن. فيقرأ ورش قول الله عز وجل: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾[البقرة ٨٠] ينطقها: "أَتَّخَتُّم" ونحن نقول: "أَتَّخَذْتُمْ"، ولدينا أيضًا يقولون: "عَمْتي وخالْتي" وهي من بقايا القراءات وتسمى الإمالة الكبرى.

فأبو بكر بن مجاهد اختار سبعة قراء، وهم: نافع، وعاصم، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو بن العلاء، وابن عامر، وأتى الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله المتوفى سنة أربعمائة وأربعة وأربعين هجريًا وكتب عن هؤلاء السبعة كتاب "التيسير"، وجاء الإمام الشاطبي ونظم لهؤلاء السبعة نظمًا مشهورًا اسمه "منظومة الشاطبية"، والتي فيها القراءات السبع، وهناك معهد يدرسها يسمى القراءات السبعة.

فعندما تبدأ في دراسة القراءات السبع، تحفظ المنظومة الشاطبية، وهي ألف بيت، فتحفظ الألف بيت وتحفظ أيضًا كيف قرأ كل قارئ، فكل قارئ له أصول، وله فرش، وهم متفقون في الكثير من الأصول؛ لأنها من مخارج الحروف عمومًا. فإن كل قارئ له أصول و فرش، فقارئ مثلًا لديه إمالة، ونحن ليس لدينا إمالة إلا في كلمة واحدة؛ فتسمع مثلًا ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[الضحى 1–٢] بالإمالة وهذه لهجة من لهجات العرب.

الإمام الشاطبي رحمه الله له منظومة، ومقدمتها من أروع المقدمات. ويقول فيها:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ
وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلَا
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ
وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ
مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاً
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً

وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى

يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ

وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلَا

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً

مُجِلاً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا

هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِما

مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلَلْ

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن: (والد الذي يحفظ القرآن علي رأسه تاج)[12] وهذا التاج نور عليهما.

فَما ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ

أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةُ المَلَا

فما ظنكم بالنجل عند جزائه! إذا كان ذا حال أبيه وأمه، إذًا فما بالكم به هو!

أُولُو الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ وَالصَّبْرِ وَالتُّقَى

حُلاَهُمُ بِهَا جَاءَ الْقُرَانُ مُفَصَّلَا

عَلَيْكَ بِهَا مَا عِشْتَ فِيهَا مُنَافِساً

وَبِعْ نَفْسَكَ الدُّنْيَا بِأَنْفَاسِهَا الْعُلَا

ثم ذكر القراء:

جَزَى اللهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أَئِمَّةً

لَنَا نَقَلُوا القُرآنَ عَذْباً وَسَلْسَلَا

فَمِنْهُمْ بُدُورٌ سَبْعَةٌ قَدْ تَوَسَّطَتْ

سَمَاءَ الْعُلَى وَالْعَدْلِ زُهْراً وَكُمَّلَ

[12] [عن معاذ بن أنس]: من قرأ القرآنَ وعمِل بما فيه أُلبِسَ والداهُ تاجًا يومَ القيامةِ ضوؤهُ أحسنُ من ضوءِ الشمسِ في بيوتِ الدنيا لو كانت فيكم فما ظنُّكم بالذي عملَ بهذا.

ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، هداية الرواة ٣٧٤/٢ •[حسن كما قال في المقدمة] • أخرجه أبو داود (١٤٥٣) واللفظ له، وأحمد (١٥٦٤٥) مطولاً

لَهَا شُهُبٌ عَنْهَا اُسْتَنَارَتْ فَنَوَّرَتْ

سَوَادَ الدُّجَى حَتَّى تَفَرَّق وَانْجَلَا

إلى أن قال :

فأما الكريم السر في الطيب نافع

فذاك الذي اختار المدينة منزلًا

قالون وعيسى ثم عثمان ورشهم ... إلى أن ذكر القراء السبعة.

بعد ذلك جاء شخص اسمه الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى وهذا إمام عظيم، اسمه محمد بن الجزري أبو الخير رضي الله عنه وأرضاه، قال: سنوسع الأمر بدلًا من سبعة قراء سنجعلهم عشرة قراء، فأصبح عندنا القراءات العشر، وألف كتابه العظيم "النشر في القراءات العشر"، وألف أيضًا منظومة اسمها: "طيبة النشر في القراءات العشر"، وظل القرآن يُقرأ في زمان الناس هذا كما كان يُقرأ في عهد رسول الله ﷺ.

❖اهتمام الصحابة بتفسير القرآن:

إذًا فقد عرفنا كيف جُمِعَ القرآن في عهد رسول الله ﷺ، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه، وفي عهد عثمان رضي الله عنه، إلى أن بدأ إقراءُ القرآن من عهد عثمان إلى زمان الناس هذا، لازال هناك أناس يقرأون القرآن كما أُنزِل، هذا شيء اسمه السند، هذا السند أن يقرأ شخص عن شيخ، وشيخ عن شيخ إلى أن يصل إلى النبيﷺ، والنبي ﷺ قرأه على جبريل، وجبريل قرأه على رب العالمين سبحانه وتعالى. لذلك هذا السند نور.. فلا التوراة ولا الإنجيل وصلوا إلى أقوامهم بالسند المتصل، لا يوجد شيخ عن شيخ إلى أن نصل لسيدنا عيسي، أما القرآن فإنه يصل إلى النبي ﷺ؛ لذلك الذي يقرأ القرآن الآن كالذي يقرأه في زمان رسول الله ﷺ.

ولم يكن اهتمام الصحابة رضى الله عنهم فقط بمسألة الجمع، أن يوصلوا القرآن للناس فقط، وإنما اهتموا أيضًا بإقرائه وتفسيره، كان لهم اهتمام عظيم بتفسير القرآن. في عهد النبي ﷺ كان الصحابة يقع لهم إشكالات في القرآن، من الممكن أن يقرأ أحدهم فتأتي على ذهنه أسئلة، لم قال الله سبحانه وتعالى كذا وكذا، ولم يقل كذا وكذا؟ ما موقع هذه الآية من هذه الآيات؟ ولابد للإنسان وهو يقرأ أن يثير أسئلة

القرآن على قلبه؛ لذلك يقول عبد الله بن مسعود: "من أراد علم الأولين والآخرين فليُثوِّر القرآن". ما معنى يُثور القرآن؟

التثوير هو التقليب والتحريك، لذلك ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾[البقرة ٧١] عن البقرة في عهد سيدنا موسي ..، ما معنى هذه الآية؟ ما معنى لا ذلول تثير الأرض؟

احذروا أن تفهموا القرآن باللغة العامية ثم تقولوه للناس؛ لأن هذا تقوّل على الله بلا علم، لكن لابد أن نفهم القرآن كما أنزله الله سبحانه وتعالى، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، أي: واضح، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾، أي: غير مذللة، هي غير مذللة فلا تثير الأرض ولا تسقي الحرث، ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ تحرثها وتقلبها، الإثارة بمعنى التحريك والتقليب، فمن أراد علم الآخرين والأولين فليُثَوّر القرآن.

عندما تقرأ سورة الفاتحة تقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة 1-٣].. مرة أخرى؟ ألم تقل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة ١]؟ لماذا تقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة 3] مرة أخرى؟ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة ٤].. فتُثير الأسئلة على ذهنك، لماذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة 3]، وقال بعدها ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة ٤]؟ هذا سؤال، وبعدها تقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة ٦]، لماذا لا يوجد دعاء آخر؟

أن تقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة 1-٦]، هذه كلها ثناءات على الله وإظهار الذل والعبودية له، لماذا تقول بعدها: ﴿ٱهْدِنَا﴾؟

هذا اسمه إثارة الأسئلة على النفس، وكانت تثار مثل هذه الأسئلة على أذهان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بالتأكيد من أول من سيلجئون إليه؟ الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو المفسر الأول فهذه وظيفته أصلًا ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل ٤٤] .. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾[الأنبياء ٤٥]. فيذهبون للنبي صلى الله عليه وسلم، كما حدث لما أنزل الله عز وجل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام ٨٢]، فأسرع الصحابة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالوا: "يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟" لا يوجد من لم يظلم نفسه، فيقولون: إذًا سنهلك كلنا؛ لأنه ليس هناك من لم يظلم نفسه وليس هناك من سيأمن، فقال لهم النبي

صلى الله عليه وسلم: (ليس ما تذهبون إليه) أي ليس الذي فكرتم فيه، (وإنما ذلك قول العبد الصالح: {إن الشرك لظلم عظيم})[13]، إذًا ما معنى الظلم في الآية؟ الشرك، وضّح الرسول صلى الله عليه وسلم لهم الآية.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُجيب على إشكالاتهم، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يُفسر لهم القرآن ابتداءً.. يقرأ الآيات ويفسرها النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك بعض الصحابيات رضوان الله عليهن قالت: "ما أخذت سورة الذاريات إلا من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لها على المنبر"، وكذلك سورة ق حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكررها.

❖بماذا تبدأ في التفسير:

حاشية صغيرة على هذا الموضوع: إن الآيات والسور التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكررها هي أولىٰ الآيات أن تعتني بها، قد لا يستطيع شخص أن يقرأ تفسيرًا كاملًا للقرآن، ماذا يفعل؟

يأتي بالآيات والسور التي تتكرر مثل سورة الفاتحة والإخلاص والفلق والناس والأعلى والغاشية وسورة السجدة والإنسان والكهف والجمعة والرحمن، هناك سور تتكرر، هناك سور يكررها القراء بطبيعتهم كثيرًا، لأنها جميلة ولأسباب أخرى، وهناك سور تتكرر لأن النبي ﷺ حثّ على تكرارها.

كان النبي ﷺ يقرأ كل جمعة الأعلى والغاشية، وكان يقرأ في فجر الجمعة السجدة والإنسان، وكان يقرأ ق والمنافقون، وكان ﷺ يحث على تكرار قراءة سورة الكهف والسلف كانوا يقرأون سورة الكهف، ومن السور التي كان النبي ﷺ يحث على تكرارها: سورة البقرة، (عليكم بسورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)[14] البطلة يعني: السحرة، فلابد أن تحرص على قراءة هذه السور.

---

[13] [عن عبدالله بن مسعود]: لَمّا نَزَلَتْ {الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا {[الأنعام: ٨٢] إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ، قُلْنا: يا رَسولَ اللَّهِ، أيُّنا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قالَ: ليسَ كما تَقُولونَ {لَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢] بشِرْكٍ، أوَلَمْ تَسْمَعُوا إلى قَوْلِ لُقْمانَ لِابْنِهِ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللَّهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٣٦٠ • [صحيح] • أخرجه مسلم (١٢٤) باختلاف يسير •

[14] {عن أبي أمامة الباهلي]: اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتِي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ. قالَ مُعاوِيَةُ: بَلَغَنِي أنَّ البَطَلَةَ: السَّحَرَةُ. [وفي رواية]: غيرَ أنَّه قالَ: وكَأنَّهُما في كِلَيْهِما، ولَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ مُعاوِيَةَ بَلَغَنِي.

ولذلك عندما تصلي التراويح، فقد تجد شخصًا طوال التراويح حاضر الذهن مع السورة التي يقرأها الإمام، ويحاول أن ينفعل بالآيات إلى أن ينهي الشيخ ثمان ركعات ويبدأ في الشفع والوتر، ماذا يقرأ الأئمة دائمًا في الشفع والوتر؟ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[الأعلى ١]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[الكافرون ١]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص ١] .. أليس كذلك؟ فعندما تأتي: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[الأعلى ١].. لا يكن على باله أصلًا .. هو يعتبر أنه أدى المهمة التي عليه في الثمان ركعات السابقين، مع أن المفترض أنه يتأمل هذه السور أكثر من الثمان ركعات الأولى.

هل فكرت مرة لماذا تتكرر هذه السور كل يوم؟ .. كل يوم تقرأ سورة الفاتحة، وكل يوم يقرأ الشيخ في التراويح: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص ١]، والكافرون، و ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[الأعلى ١] .. لابد أن تفكر.. لماذا؟ بالتأكيد هذه السور لها مزيد فضل ومزيد تأمل. فكان النبي عليه الصلاة والسلام يحرص على أن يفهم الصحابة القرآن، واستمر هذا الأمر في عهد أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه، فكان أبو بكر رضي الله عنه أيضًا يفسر بعض القرآن للصحابة.

❖ مجالس السماع القرآني:

وفي عهد عمر رضي الله عنه وأرضاه اتسع هذا الأمر.. فاشتهر في عهد عمر ما يسمى بمجالس السماع القرآني، لاحظ: أبو بكر جمع القرآن، التفسير انتشر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، فأصبح عمر بن الخطاب يعقد مجالس السماع القرآني .. ما معنى مجالس السماع القرآني؟

يجلس عمر بن الخطاب وسط جماعة من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فيرى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فيقول له: "يا أبا موسى..."، كان أبو موسى مزمارًا من مزامير آل داود، ما معنى مزمار من مزامير داوود عليه السلام ؟

سيدنا داوود، هذا من حلاوة صوته كانت الجبال والطير تردد معه، من حلاوة الصوت قال الله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ﴾[سبأ ١٠]، فكان سيدنا داوود إذا قرأ الزبور لايطير طير في السماء من حلاوة صوته. فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول لأبي موسى: (لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٨٠٤ • [صحيح]•

داوود)[15]، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب سماع قراءة أبي موسى رضي الله عنه، ذات مرة وهو يسير ليلًا سمع قراءة أبي موسى رضي الله عنه فقال له هذا الكلام: (لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داوود)، فقال أبو موسى للنبي عليه الصلاة والسلام كما في بعض الروايات: "والله لو علمت يا رسول الله لحبرته لك تحبيرًا".. يعني يقول له: أنا عندي أحسن من هذا، فلو كنت أعلم أنك تستمع إلى قراءتي لجودت القراءة أكثر وأكثر.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب أن يسمع القرآن من غيره، ألم يذهب لسيدنا عبدالله بن مسعود يقول له (اقرأ عليّ القرآن)[16]، فقال: "يا رسول الله كيف أقرأه وعليك أنزل، فقال: (اقرأ فاني أحب أن أسمعه من غيري)، فقرأ عليه فواتح سورة النساء، حتى وصل إلى قول الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[النساء ٤١] ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: (حسبك)[17]، وفي رواية: (أمسك)، قال عبدالله بن مسعود: "فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان.

وذهب لأبي بن كعب رضي الله عنه وقال: (إن الله أمرني أن اقرأ عليك سورة البينة)[18]، فقال: "يا رسول الله وسماني لك؟".. يقول له: أمعقول! أمعقول أن ربنا سبحانه وتعالى يقول لك: اذهب لأبي واقرأ عليه سورة البينة، قال: "وسماني لك؟".. قال: (نعم وسماك لي)، فبكى أبي رضي الله عنه وأرضاه.

---

[15] [عن أبي موسى الأشعري]: يا أبا مُوسى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمارًا مِن مَزامِيرِ آلِ داوُدَ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٠٤٨ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣) •

[16] [عن عبدالله بن مسعود]: قالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ :فإنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِن غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عليه سُورَةَ النِّساءِ، حتّى بَلَغْتُ: {فَكَيْفَ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بكَ عَلى هَؤُلاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١]، قالَ: أمْسِكْ، فَإذا عَيْناهُ تَذْرِفانِ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٥٨٢ • [صحيح] • أخرجه مسلم (٨٠٠) باختلاف يسير •

[17] [عن عبدالله بن مسعود]: قالَ لِي النبيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قالَ: نَعَمْ فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّساءِ حتّى أتَيْتُ إلى هذِهِ الآيَةِ: {فَكيفَ إذا جِئْنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بشَهِيدٍ، وجِئْنا بكَ على هَؤُلاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١]، قالَ :حَسْبُكَ الآنَ فالْتَفَتُّ إلَيْهِ، فإذا عَيْناهُ تَذْرِفانِ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٠٥٠ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠) •

[18] [عن أنس بن مالك]: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: إنَّ اللَّهَ أمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا، قالَ :وَسَمّانِي لَكَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَبَكى.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٧٩٩ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩)• .

فكان سيدنا عمر يقول لأبي موسى الأشعري: "يا أبا موسى ذكرنا ربنا.."، فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون إلى قراءته، وهذه من الأشياء التي قلت جدًا في هذا الزمان للأسف، أن يستمعون للقرآن فقط.

❖علم ابن عباس رضي الله عنه بالتفسير:

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يعقد مجالس للتفسير .. مجالس خاصة بتفسير القرآن .. مثال ذلك في مرة من المرات كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يجلس في أشياخ بدر، أي الجماعة الكبار الذين حضروا غزوة بدر، فغزوة بدر ليست كأي غزوة، وجاء في الحديث: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[19]، هذه غزوة عظيمة.

فكان يجلس في أشياخ بدر، وكان يُجلس معهم ابن عباس، وابن عباس كان صغيرًا في ذلك الوقت، فيقول أشياخ بدر: "أتُجلس معنا ابن عباس وهو من أسنان أولادنا!" نحن عندنا عيال مثله .. لماذا تُجلسه معنا! فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسرها في نفسه .. ومرة وهم جالسون قرأ عليهم ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[النصر 1-٣]، فقال: ما تقولون في هذه السورة؟ كل شخص يقول ما عنده ..، فقالوا: إن الله عز وجل أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يستغفر الله؛ فقال: ما تقول فيها يا ابن عباس؟ قال ابن عباس "وكنت أعلم أنه يريد أن يريهم مكانتي"، هو يريد أن يقول لهم لماذا أدخلته؟ وابن عباس له خاصية لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[20] فماذا قال له ابن عباس؟

---

[19] [عن علي بن أبي طالب]: إنِّي لَأَعْلَمُ ما الذي جَرَّأَ صاحِبَكَ على الدِّماءِ، سَمِعْتُهُ يقولُ: بَعَثَنِي النبيُّ ﷺ والزُّبَيْرَ، فَقالَ: ائْتُوا رَوْضَةَ كَذا، وتَجِدُونَ بها امْرَأَةً، أَعْطاها حاطِبٌ كِتابًا، فأتَيْنا الرَّوْضَةَ: فَقُلْنا: الكِتابَ، قالَتْ: لَمْ يُعْطِنِي، فَقُلْنا: لَتُخْرِجِنَّ أَوْ لَأُجَرِّدَنَّكِ، فأخْرَجَتْ مِن حُجْزَتِها، فأرْسَلَ إلى حاطِبٍ، فَقالَ: لا تَعْجَلْ، واللَّهِ ما كَفَرْتُ ولا ارْتَدَدْتُ لِلْإِسْلامِ إلّا حُبًّا، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِن أَصْحابِكَ إلّا وله بمَكَّةَ مَن يَدْفَعُ اللَّهُ به عن أَهْلِهِ ومالِهِ، ولَمْ يَكُنْ لي أَحَدٌ، فأحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا، فَصَدَّقَهُ النبيُّ ﷺ، قالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ فإنَّه قدْ نافَقَ، فَقالَ: ما يُدْرِيكَ، لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ، فَهذا الذي جَرَّأَهُ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٠٨١ • [صحيح]•

[20] [عن عبدالله بن عباس]: كُنْتُ في بيتِ ميمونةَ بنتِ الحارثِ فوضَعْتُ لِرسولِ اللهِ ﷺ طَهورًا فقال: (مَن وضَع هذا)؟ قالت ميمونةُ: عبدُ اللهِ فقال ﷺ: (اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ).

قال ابن عباس: "هذه –يقصد السورة– أجلُ رسول الله"، هذه السورة تدل على قرب انتهاء عمر النبي عليه الصلاة والسلام، وهو أن الله عز وجل أمره إذا دنا الأجل ورأى الفتح أن يستغفر الله وأن يتوب إليه، فإنه انتهاء أجله؛ فقال: "والله ما أعلم منها إلا ما تقول".

وفي عهد عثمان رضي الله عنه وأرضاه زاد التفسير أيضًا، وابن عباس رضي الله عنه كان أمير الحج في عهد عثمان، كانوا يقولون: "كان ابن عباس إذا فسر الشيء –إذا فسر الآية– رأيت عليه نورًا"، تأمل! سبحان الله أحيانًا عندما تسمع مثلًا كلمة من تفسير الشيخ الشعراوي رحمه الله يبهرك وتستغرب! من أين يأتي هذا الرجل بهذا الكلام؟!

تخيل أنهم كانوا يقولون أن ابن عباس كان إذا فسر الشيء رأيت عليه نورًا رضي الله عنه وأرضاه، وقال بعضهم: "فسّر ابن عباس سورة البقرة في الحج، وفي رواية سورة النور، لو سمعها الروم والديلم لأسلموا" أي لو سمع الكفار تفسير ابن عباس سيدخلون في الإسلام.

ابن عباس كان له اهتمام واسع بعلم التفسير؛ وكان لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أيضًا اهتمام بهذا العلم الجليل، بالطبع بعد ذلك انتقل التفسير إلى مراحل أخرى، أصبح يوجد تلاميذ لابن عباس، وكانوا يأخذون عنه القرآن آية آية، يقول مجاهد: "عرضت القرآن ثلاث مرات"، تنبّه كيف كان الناس يحرصون على فهم القرآن، ثلاث مرات! يذهب لابن عباس رضي الله عنه ويسأله عن القرآن، يقول ما معنى هذه الآية؟ وما معنى هذه الآية؟ وما معنى هذه الآية؟

ولذلك يجب على الناس أن يفقهوا هذا الكلام ونحن على أبواب شهر رمضان .. وعندما تقرأ لوعنّ لك سؤال اسأل .. لا تفوت، سبحان الله لعلك عندما تفهم آية من الآيات تدخل إلى قلبك فيغفر الله عز وجل لك. قد يسمع الواحد منا آية واحدة فقط من الذكر تكون سببًا في هدايته!

الفضيل بن عياض رضي الله عنه وكان عالمًا كبيرًا من علماء المسلمين، هل تعرفون سبب توبة الفضيل بن عياض؟ سمع آية! كان ذاهبًا ليسرق، وكان يخاف الناس منه لأنه كان قاطع طريق .. وكانوا لا يعبرون من الطريق الذي يقطعه الفضيل بن عياض .. فإذا قيل لهم يا جماعة مروا من هذا الطريق .. يقولون: لا ..

ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٧٠٥٥ • أخرجه في صحيحه •أخرجه أحمد (٣٠٣٢)، والطبراني (٢٩٣/١٠) (١٠٥٨٧)، والحاكم (٦٢٨٠) باختلاف يسير •

فالفضيل بن عياض هو الذي يشرف على هذا الطريق .. لا أمر عليه أبدًا .. كيف أمر عليه! تخيل!

ذهب الفضيل بن عياض ليسرق في مرة، وهو يتسلق السور إذا بصاحب البيت كان يقوم بالليل ويقرأ سورة الحديد، يقرأ قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[الحديد ١٦]، فلما سمعها الفضيل رضي الله عنه وأرضاه قال: بلى يا رب، قال انتهى الأمر؛ هذه الآية أتت لي كرسالة.. ونزل الفضيل بن عياض وأصبح عالمًا كبيرًا من علماء المسلمين، بسبب ماذا؟ بسبب آية.

قد يهدي الله قلبك بسبب سماع آية .. تسمع آية وأنت تمشي أو وأنت مثلًا تسمع إذاعة القرآن أو وأنت تسمع قناة المجد أو أي شيء، وعند سماعك القرآن، دائمًا تدخل آية هكذا تكون سبب النجاة لك، أليس كذلك؟ قد لا تعرف الآية التي قد يهدي الله بها قلبك، قد تسمع آية من القرآن وتدخل إلى قلبك تكون سببًا في نجاتك يوم القيامة ..

ولذلك أيها الكرام احرصوا على سماع القرآن، القلب إذا تعرى.. نحن نأتي في شهر رمضان، فشخص يقول والله أنا منذ أول الشهر وحتى وصلنا عشرين رمضان وأنا لا أشعر بلذة القرآن، أليس كذلك؟ هذا السؤال مع كل شهر رمضان يتكرر، والناس حولي متأثرين بالقرآن وأنا لا أشعر.. بغض النظر إن هل هذه علامة للتأثر أم لا، المهم هؤلاء الناس بدأوا منذ مدة! هؤلاء الناس بدأوا مبكرًا؛ مثل "الدراجة النارية" بالضبط مثلًا أو السيارة، فإذا ما استخدمت مثلًا "الغيار الخامس" في السيارات التي باليد هذه -غير السيارات الأوتوماتيك-، وجئت لتشغلها لتجد السيارة تنتفض إن لم تدهس أحدًا في الطريق وهي تمشي، وكذلك الدراجة النارية أيضًا نفس الوضع تنتفض ثم تقف مباشرة، سبحان الله الإنسان أيضًا كذلك!

قد يدخل الإنسان رمضان وهو نشيط وبصحته.. فتجده أول يوم في المسجد طوال النهار، وفي اليوم الثاني الموضوع ينتهي -نسأل الله العافية-، لماذا؟ فشهر رمضان شهر عظيم، ولكن لماذا؟ لأنه بالعمل الذي عمله طوال السنة، هو لم يفتح المصحف طوال السنة، ويأتي في شهر رمضان ويريد أن يكون متأثرًا بالقرآن ومواظبًا عليه، أنت يجب أن تفتح المصحف، يجب أن تكون مرتبطًا مع القرآن، يوجد صلة بينك وبين القرآن.

وأنا أعرف شخص –سبحان الله– هذا الرجل لازال على قيد الحياة –متعه الله بالصحة– وهو كبير في السن، عنده خمس وسبعين سنة، ويختم القرآن في غير رمضان كل ثلاثة أيام مرة، أي كل يوم –ما شاء الله تبارك الله– يقرأ عشرة أجزاء، كنا نعتكف مع هذا الرجل وهو ليس حافظًا للقرآن.. كان أحيانًا يقرأ القرآن في رمضان كل يوم مرة، أجده طوال النهار في المسجد معنا، ونحن طبعًا متعبين نحن شباب وحافظين، بعضنا حافظ القرآن وقد تجد منا حافظ القرآن بالقراءات أيضًا، وهذا الرجل كل يوم نسأله: يا عم كيف الحال، يقول: أنت في أي سورة؟ أقول: لا زلت في سورة كذا؟ فيقول: أنا أنهيت المصحف.

أين تقرأ يا عم؟ أتقرأ وأنت معنا طوال النهار! هذا الرجل إما مع المصحف، وإما نائم أو يؤذن، لا يفعل شيء سوى ذلك، سبحان الله! ويقرأ الرجل خارج رمضان القرآن كل ثلاثة أيام مرة، هو الرجل هكذا، يأخذ المصحف الخاص به، ولو أن شخصًا غيّر المصحف الخاص به من مكانه مثلًا، تكون مشكلة لأنه ليس بحافظ، فلا يعرف أين وقف.

فالذي يحرص على القرآن قبل رمضان يمتعه الله بالقرآن في رمضان، القرآن متعة ولذة، والقرآن عندما يملأ قلب الإنسان يكون شيئًا آخر سبحان الله، والذي يلتذ بالقران ويتمتع به فهذا قلبه قد أصبح ممتلئ بالنور، لأن القرآن نور. يقول الله تعالى –وأختم بهذه الآية–: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الشورى ٥٢].

نسأل الله عز وجل أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع، وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همومنا، وذهاب غمومنا وأحزاننا. اللهم ذكرنا منه ما نُسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا.

وصلى الله على نبينا محمد وآله والحمد لله رب العالمين.